القيم الفنية والجمالية لمنحوتات الحيوانات في النحت الأشوري كمصدر لإثراء النحت المعاصر

الباحثه / منيره زيب دخيل القحطاني

دولة الكويت

هدف البحث: للكشف عن القيم الفني والجمالية والمعالجات التشكيلية في تناول الخامات في تماثيل الحيوانات فيالفن الأشوري .

فرض البحث: إن دراسة التماثيل الأشوريه المجسده لعنصر الحيوان يمكن أن تكشف عن القيم الفنية والجمالية في التمثال.

أهمية الابحث: إظهار القيم الفنية والجمالية في تماثيل الحيوانت الأشورية ولإفادة منها في مجال النحت المعاصر.

إجراءات البحث: ويشتمل علي

- **الإطار النظري:** دراسة للخامات المختلفة المستخدمه في تماثيل الحيوانات عند الفنان الأشوري.
- **الإطار العملي:** كيفية الإستفادة من الطرق التشكيلية في تناول خامات التماثيل المختلفة.

نتائج البحث: امكن توظيف القيم الفنية والجمالية لمنحوتات الحيوانات في النحت الأشوري كمصدر لإثراء النحت المعاصر.

.

إجراءات البحث:

كان فن النحت من اهم الفنون التي مارسها العراقيون القدماء والاشوريون على وجه الخصوص حيث كان هذا الفن الاصدق تعبيرا عن الاحاسيس الفنية والافكار والمعتقدات الدينية، كما كان من اكثر الفنون التي تركت لنا نماذج كثيرة ومن مختلف العصور نظرا لطبيعه المواد المستخدمه للنحت، وهي الحجارة بالدرجة الاولى ومقاومتها الشديدة لمختلف العوامل الطبيعية واحتفاظها باشكالها وهيئتها الاصلية مدة زمنية طويلة

فقد احدث الأشوريون ثورة في تاريخ الجداريات الفنيه،وذلك من خلال الإيحاء بالعمق داخل كل لوحة ،وتميز كذلك بإظهار صفه القوة الجسمانيه في الأشكال الإنسانية والأشكال الحيوانية المفترسه ، وأكثر تركيزهم كان على الحيوانات.و تسجيل وتخليد ذكرى وأمجاد وبطولاتهم الحربيه.

في بلاد الرافدين نفذ الفنان رسوماته على جدران المعابد والقصور والزقورات ،ف استخدم اغلبهم الطين المخلوط بالجير لتغطيه الجدران ،وغرز أشكالاً فخاريه ملونه بالطين والفسيفساء، وكانت تلك اجمل التقنيات للفن. (١) الفن في بلاد ما بين النهرين/ تأليف :كريستينا غافليكوفسكا.

فاتخذ الاشوريون الحرب كأهم نشاط لهم ، وكانو يعدون ذلك طلباً من الآلهة ، وادى الكهنه دورهم في ذلك.فقد كان الملوك لا يتخذون اي اجراء عسكري بدون إذن من الآلهة وأخذ رأي الكهنه.

واحد اجمل اللوحات الفنيه لل الفن الآشوري هي(بوابه عشتار) التي تعد من اجمل الأعمال الجداريه التي خلفتها بابل ، وهي مؤلفه من ممر طويل و بوابه رائعه المنظر . الشكل(١)

الشكل(١)

مزينه بالزخارف الآجريه النافره والملونة بألوان غامقه تتألق تحت أشعه الشمس وكانت الخلفية زرقاء عليها رسوم حيوانات نافره متعدده الألوان لكن يغلب عليها اللون الأصفر ، وهي متدرجه في صفوف وتمثل:(الثور، التنين، الأسد، والنسر) وهي رمز الإله *اداد و* مردوخ ومهمتهما حمايه وحراسه البوابه بقواهم السحريه. (١)

الشكل(٢)

الشكل(٣)

كان الفن الآشوري متعدد المظاهر، فقد شيّد ملوك آشور أبنية رفيعة المستوى زاد ت الزخرفة في تألقها، وكان الآجر الرمادي هو »الخامة» الأساس في البناء أما العناصر الجمالية المضافة إليه فتزيده بهاءً؛ ويرجح أن الأخشاب والستائر كانت تغطي الجدران من الداخل في المعابد والقصور ولكن من المؤكد أن الآشوريين تبنوا فن التصوير الجداري، الموروث عن أسلافهم من شعوب بلاد الرافدين، في تلوين جدران قصورهم في كل المواقع التي مرّ ذكرها؛ ولكن المجموعة المهمة التي عثر عليها في قصر تل برسيب على الفرات الأعلى في أقصى المملكة (تل أحمر في سورية اليوم). تعد مثالاً للفن الآشوري وتشكل مساحة مئة وثلاثين متراً من التصوير على الجدران، ويستشف من تجميع القطع أنها تمثل رحلات صيد وتربية خيول كما تعكس جمال الملابس التي كانت سائدة آنذاك (بعض تلك القطع موجود في متحف حلب وكثير منها في متحف اللوفر في باريس)..(٢)الاشعاع بالتألق،حسن كمال.

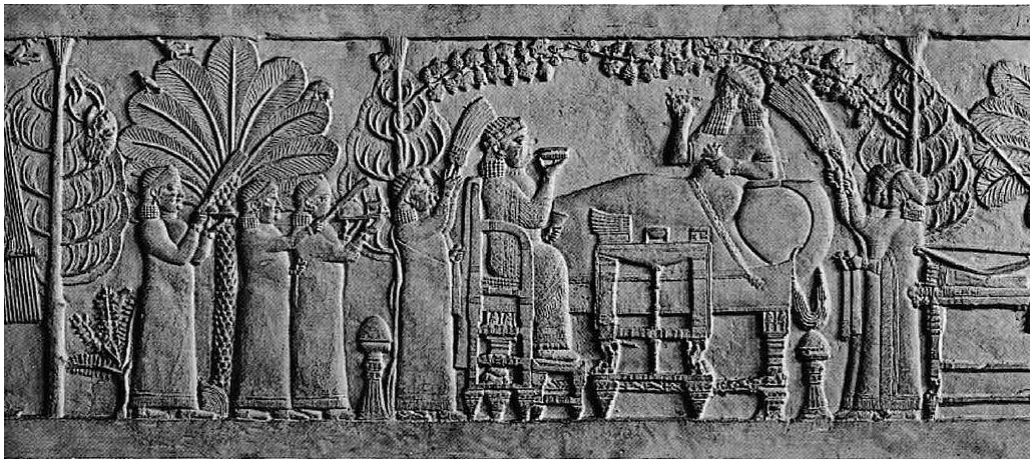

الشكل(٤)

واستخدم الآشوريون كذلك فناً أتى من الشمال السوري وهو النحت الحجري البارز من الهيصم) alabâtre نوع من المرمر). وقد أقيمت المنحوتات orthostates على الجدران الآجرية فوق أساساتها الحجرية حول الساحات أو داخل القاعات. وكانت الحقبة الذهبية لهذا الفن، الذي انطلقت فيه العبقرية الآشورية ، بين القرنين التاسع والسابع قبل الميلاد. وامتاز بالابتكار وبراعة التأليف مبيناً قوة المملكة ورفعة الملك وذلك في نينوى ونمرود؛ مثال ذلك النحت البارز الذي يمثل مشهد صيد الأسود وهو من الهيصم بارتفاع ٩٢ـ٩٥سم من عهد آشورناصربال الثاني(اليوم في المتحف البريطاني في لندن) وكان يزين قاعة العرش في قصر

الملك في نمرود، ويمثل الملك لابساً سترة متواضعة وهو يرمي بالقوس السباع من على عربته. والنحت البارز الآشوري بما تحلّى به من دقة يعد معيناً للمعلومات عن المواد التي كانت تستخدم في تلك الحقبة كالخشب والجلد والقماش ولم يعد لها اليوم أثر يذكر

الشكل(٥)

أما النحت المدوّر (التماثيل) فكان نصيبه أقل من النحت البارز، ومنه تمثال آشورناصربال الثاني في نمرود من القرن التاسع قبل الميلاد وتمثال شلمنصر الثالث. وظهر النحت كذلك في شخوص سباع مجنحة وثيران برؤوس آدمية متوّجة وكانت تلك الشخوص تحتل موقع الحراسة على البوابات التي أحكمتها أبواب خشبية مزينة بزخارف من البرونز كما في مدينة أم غربل) Balawat في العراق). مثال ذلك ثور ذكر مجنح ذو رأس آدمي ولحية مستعارة، من قصر صرغون الثاني في خورسباد (القرن الثامن قبل الميلاد) وهو اليوم في متحف اللوفر في باريس، ومن صفاته المميزة أن له خمس قوائم تظهر أربعٌ منها إذا شوهد من الناحية الجبهية والخامسة مجاورة أنسيّاً للقائمة الأمامية تظهر إذا ما شوهد من الناحية الجانبية. وإلى جانب ذلك وجد في المواقع الآشورية تماثيل حيوانات من الجص بحجوم صغيرة وأختام أسطوانية وتمائم تثير الدهشة لما فيها من دقة في تمثيل المخلوقات الخيالية والمشاهد الأسطورية.

واستخدم الآشوريون كذلك فن الترصيع والتنزيل بالمعدن والعاج في الأثاث الخشبي، أما الحلي والأسلحة فقد وجد منها من القطع القليل، وفي المنحوتات البارزة تمثيل لقطع متقنة الصنع من تلك الأنواع التي كان الآشوريون يملكونها.

لقد خضع الفنان الآشوري للفكر الشرقي في التصوير الجداري والنحت البارز والنقش على المصغرات من الأختام الأسطوانية والتمائم، فمثل الوجه والعين والساقين جانبياً والجذع جبهياً . وبدا الفن الآشوري بمظاهره المختلفة معبراً عن قوة المملكة ورفعة الملك.

ان النحات الاشوري في العصر الاشوري القديم كان يتبع المدارس و الطرز البابلية السائدة انذاك ولاسيما ان بلاد اشور كانت تؤلف جزءا من المماليك الموحدة التي كان مركزها بلاد بابل ، ولكن مع ذلك وصلنا كسر من المنحوتات تعود للملك الاشوري شمشي –ادد الاول (١٧٨٢-١٨١٤ ق.م) تصور لنا جانبا من انتصاراته العسكرية وقد ظهر الملك بالنحت البارز وهو يطأ برجلة رقية احد اعدائه ، اضافة الى كسر من لوحات وجدت في بئر في مدينة اشور .(٣) النحت في حضاره العراق،ج٤،طارق عبدالوهاب.

اما من العصر الاشوري الوسيط الذي يعد ولادة الفن الاشوري المميز فقد جاءتنا عده نماذج للنحت البارز ، ونظرا لانشغال الاشوريين الى درجة كبيرة في هذا العصر بتثبيت اركان الدولة وحمايتها من الاخطار المحدقة بها من كل جانب . الا ان النشاطات العمرانية تتابعت وانتجت لنا عدد من المنحوتات البارزة والمجسمة المميزة مثل ماوجدناه من نحت على سفوح الجبال تخليدا للانتصارات العسكرية التي حققها الملوك مثل الملك تجلاتبليزر الاول ومنها مانحت على مسلات مثل المسلة البيضاء المكتشفة في نينوى والتي نقشت بالنحت البارز لمشاهد عديدة تشير الى عهد الملك اشور ناصر بال الاول (١٠٣٠-١٠٥٠) ق.م والتي كانت من اروع القطع الفنية البارزه في هذا العصر(٤) العراق في التاريخ القديم/د.عامر سليمان.

اما في العصر الاشوري الحديث فقد بلغ الاشوريون قمة ازدهارهم الحضاري وذروة قوتهم العسكرية ، وكان طبيعيا ان يقطع فن النحت ولاسيما النحت البارز شوطا بعيدا ليقدم لنا اروع النماذج المعبرة عن قوة الاشوريين العسكرية ويعكس لنا الانتصارات المتلاحقة التي حققها الاشوريون على مختلف الاقوام.

لقد كان فن النحت مقتصرا على خدمه الدولة وبيان منجزاتها العسكرية والعمرانية واظهار قوة الجيش وملوكها لاهداف اعلامية بالدرجة الاولى

فمنذ عهد اشور ناصر بال الثاني* (٨٨٣-٨٥٨ ق.م) بدأت طريقة تزيين جدران القصور الداخلية بالمنحوتات الجدارية الضخمة وتزيين مداخل المدينة والقصور بتماثيل ضخمه مركبة تمثل حيوانات مركبة مما عرف لدى الباحثين بالثيران المجنحة الا ان كثافة استخدام المنحوتات الجدارية والحيوانات المركبه الحارسة يشير الى تأثيرات ارامية نتجت عن احتكاك الاشوريين في هذا العصر بالاقوام الارامية في سوريا (٥)طارق مظلوم .

ومما يلاحظ كذلك ان النحت البارز قد طغى على اسلوب النحت في بلاد اشور حتى عندما كان النحات او الفنان ينفذ قطعه من النحت المدور حيث انه لم يكن يأبه باعطاء السمك الطبيعي للتمثال بل اعتنى بالمظهر الامامي والخلفي فقط

وقد تم الكشف عن عدد من التماثيل للالهه والملوك الا ان عددها محدود فمن العصر الاشوري القديم لم يصلنا الا تمثال واحد وجد في مدينة ماري وتمثال اخر من العصر الاشوري الوسيط يمثل الالهه عشتار ، اما في العصر الاشوري الحديث فقد ثم الكشف عن عدد لابأس به من التماثيل الخاصه بالالهه والملوك.

الفنون التي عرفت في العراق القديم وبشكل خاص في بلاد اشور ، فن الحفر على العاج ، كان معروفا منذ مطلع الالف الثالثة قبل الميلاد وان اكثر انتشارا لفن النقش على العاج ظهر في العصر الاشوري الحديث حيث عثر على اعداد كبيرة من قطع العاج التي تم تنفيذها في العواصم الاشورية.

وقد ارتبطت القطع العاجية ارتباطا وثيقا بصناعه الاثاث حيث كانت العاجيات تزين قطع الاثاث في حين استخدم البعض منها لعمل ادوات الزينة وعده للخيول تلك التي تغطي جانبي عين الحصان.

وقد وجدت اغلب العاجيات الاشورية في مدينة النمرود وفي القصر العائد لأشور ناصر بال الثاني وفي القصر المحروق لشلمنصر الثالث (ابن أشور ناصر بال الثاني) في بئر عميق.

ويلاحظ من العاجيات المكتشفة في النمرود ان هناك اساليب مختلفة في صناعتها (٦) العراق في التاريخ بغداد/فؤاد سفر وميسر العراقي.

فمنها من يحمل طرزا فينقيا ومنها من يحمل طرزا سوريه في حين تمثل غالبية العاجيات الاسلوب الاشوري في الحفر على العاج وربما كانت القطع التي تحمل الاسلوب السوري والفينيقي قد جلبت كغنائم حرب او كهدايا الى بلاد اشور او انها نفذت من قبل صناع سوريين او فينقيين قد جيء بهم الى بلاد اشور.

ومن اجراء الاكتشافات تبين ان الاشوريين انفسهم قاموا بالحفر على العاج حيث تم العثور على ادوات الحفر المستخدمه الى جانب الكشف عن موادومعاجيين ملونة كانت تستخدم في تطعيم العاجيات (٧) طارق مظلوم.

ومن القطع الفنية الرائعة التي عثر عليه في النمرود هي قناع رأس فتاة جميلة ظهرت عليها ابتسامه خفيفة ولها عينان فائضتان بالحيوية شبيهة بعض الشئ (بموناليزا لوناردو دافنشي)، وكذالك عثر في قاع البئر العائدة لشلمنصر الثالث على قطعة فريدة من نوعها تمثل لبوة تنقض على رجل يبدو انه نوبي او اثيوبي ، وقد طليت هذه القطعة بالذهب ولونت بالوان جميلة.(٦)

وهناك نوعان من الاختام:

- **اولا : الاختام المنبسطة Stamp Seals** وهي عبارة عن قطعة صغيرة منبسطة من الحجر او مستطيلة او قرصية ، منقوش عليها بوساطة الحفر ببعض الخطوط او الزخارف المنبسطة.
- **ثانيا :الاختام الاسطوانية Cylincler Seals** وهي عبارة عن قطعة حجر او خرزة اسطوانية الشكل صغيرة يتراوح طولها ٢ سم و٨سم عاده ، وتتراوح اطوال اقطارها ما بين ١سم الى بضعة سنتمترات ، وتصنع من الاحجار المختلفة او المعادن او الفخار ، و الختم الاسطواني مثقوب طوليا من الوسط ربما ليعلق بخيط في الرقبة للمحافظة علية من الضياع لضمان عدم استخدامه من قبل الغير.

وان الاختام حتى وقتنا هذا تستخدم بصورة عامة منعا للتزوير او التلاعب بممتلكات الغير او للتوثيق.

وكانت وما تزال من المقتنيات الشخصية الملازمة لمعظم الافراد ولاسيما الذكور منهم وقد ابتكرها العراقيون القدماء ، وكان الختم الاسطواني هو الاكثر ملائمه للتوثيق على الطين حيث يمكن النقش عليه بزخارف ونقوش مختلفة وربما ببعض الكتابات وعند دحرجته على

الطين يترك طبعة تلك الزخارف والمشاهد ويمكن تكرار تلك الطبعات بمجرد الاستمرار بدحرجة الختم.

وقد استخدم بنطاق واسع جدا ، وقد كان الختم من سمات الحضارة العراقية القديمة على الرغم من استعمال الاختام في بعض بلدان الشرق الادنى القديم مثل وادي النيل وبلاد الشام وأسيا الصغرى،فانها استخدمت لفترى محددة وربما كانت اقتباسا وتقليدا لما كان سابقا في العراق.

وان النقوش الموجودة على الاختام تعكس لنا معلومات مفيدة جدا في دراسة الطقوس الدينية والعادات والتقاليد المتبعة وما كان من حيوانات ونباتات في المنطقة فضلا عن ان بعضها كان يحمل مشاهد عن حياة الحكام او الحياة الفردية للافراد

من حضارة العصر ان كان قديم او وسيط او حديث وكذلك توضيح هوية الاقوام التي استخدمته مثل السومريين والاكديين والبابليين او اقوام اجنبية من ملامح الاشكال المرسومه عليها والتي كانت تمثل بعض الاشخاص والالهه.

وتستطيع من خلال الاختام الاسطوانية الاشورية ان تلاحظ العلامات الفارقه لفن متميز يختلف اختلافا كبيرا عن اشكال فنون النقش الاخرى ، والذي يبدو واضحا الاهتمام الدنيوي عند صناع الاختام باشكال الحيوانات المتوحشه والمناظر الطبيعية والقدرة على اضفاء الحيوية على كليهما مما جعلهما يصبحان ملمحا بارزا من ملامح الفن الاشوري في العصور المتاخرة

ولقد تبين من خلال المكتشفات العاجية انها تقسم الى عدة مدارس او اساليب فنية من حيث الصفة والمواضيع وطريقة التنقيب وهي كالاتي:

١-الآسلوب الآشوري : وهي الطريقة التي الفناها في الآلواح الآشورية الحجرية ، او تلك التي رسمت على الجدران

٢-الآسلوب السوري : وفيه تظهر تأثيرات وعناصر فنية مستمدة من اصول حثية و أشورية وأرامية.

٣-الآسلوب الفينيقي: وتظهر فيه عناصر فنية شائعة في النحت المصري وذلك من حيث المواضيع وطريقة التنفيذ.

٤-كثيرا مانشاهد عددا من الصفات والعناصر والمميزات الفنية وهي مختلفة بعضها مع بعض في عاجية واحدة مما يدعو ان نكون حذرين في ادراج مثل هذه القطع العاجية ضمن أحد الآساليب التي ذكرناها.

وقد اعطت عاجبات النمرود جميع الآساليب التي ذكرناها فهي اذا من صنع عدد من فنانين ينتمون الى مدارس فنية مختلفة.(٨) فن النحت المدور والمجسم والنقش على العاج/ د.طارق عبدالوهاب مظلوم.

الخاتمه

كان الأشوريون مقاتلون أشداء يتميزون بالقوة والبطش كما عهدنا بكل الأجناس المتعاقبة التي استوطنت ما بين النهرين، وكانت لهذه القوة الأثر العميق على نتاجاتهم الفنية المختلفة..

ولكن هناك رأي آخر ينظر إلى مواقف البطش والسيطرة وإبادة اعدائهم المهزومين كما ظهرت في الفن الأشوري على أنها شكل فني يعبر عن الرجولة وليس تصويرا مطابقاً للطبيعة ومعبرا عن الوقائع التي حدثت...

ومع ذلك فان موضوع الحيوانات الجريحة في الفن الأشوري يؤكدا أنها لا تعبر عن قدرة وقوه الملك أو الآلهة على القضاء على الشر والتغلب عليه بقدر ما تحرك إحساسنا كمشاهدين بالعطف على الحيوانات المصورة وهي في قمة تعرضها للمأساة لذا نجد :إن الصور الكثيرة للحيوانات المتصارعة في القصر الشمالي التي فاقت بدقتها فن المنحوتات الناتئة في القرن التاسع قبل الميلاد، وذلك لأن فن أشور بانيبال التصويري– أي التعبير الأشوري لمفهوم الملكية – قد نجح إلى درجة كبيرة في التغلب على الازدواجية التي ساعدت الفن الكلاسيكي وفي الوقت ذاته أعاقته، في بلاد الرافدين ،وان هذه المشاهد من القصر الشمالي تحرك كل من ينظر إليها بجمالها البالغ، وبفتنة تتجاوز حدود موطنها. فهي تؤلف الخاتمة الطبيعية للفن الكلاسيكي في بلاد ما بين النهرين القديمة ، ذلك الفن التصويري المعبر عن مفهوم الملكية..

والملاحظة التي يستطيع أن يلسمها أي متابع لمسار فن النحت فيما بين النهرين هو تركيز الأشوريين على النحت البارز بروزا خفيفا وإهمال التماثيل المجسمة.. وذلك للاتجاه البطولي والملحمي الذي لا تستطيع التماثيل المجسمة أن تعبر عنه تعبيرا كاملا.. و نلاحظ أن ارتباط فن النحت بالعمارة كان وثيقا الى حد جعل تماثيل الأبواب الضخمة للأسود والثيران المجنحة في نينوي ونمرود تغطي باب القصر الرئيسي، من خلال التصاقها بأحد جوانبها بالحائط بشكل مباشر.

نتائج البحث:

انه امكن توظيف القيم الفنية والجمالية لمنحوتات الحيوانات فى النحت الاشورى كمصدر لاثراء النحت المعاصر.

المراجع و الهوامش:

(١)الفن في بلاد ما بين النهرين / تأليف :كريستينا غافليكوفسكا.
(٢)الاشعاع بالتألق،حسن كمال.
(٣)النحت في حضاره العراق،ج٤،طارق عبدالوهاب.
(٤)العراق في التاريخ القديم/د.عامر سليمان.
(٥)طارق مظلوم .
(٦)العراق في التاريخ بغداد/فؤاد سفر وميسر العراقي.
(٧)(طارق مظلوم.
(٨)فن النحت المدور والمجسم والنقش على العاج/ د.طارق عبدالوهاب مظلوم